الإشاعة وخطرها على السلم المدني

قراءة في فقه السيرة

إعداد / التاه بن محمدن بن اجمد

أستاذ السيرة النبوية بجامعة محمد الأمين الشنقيطي

المقدمة

الحمد لله بارئ النسمات ومبدع الكائنات، وواهب الخيرات والبركات، من أمر بالصدق وحرّم الأكاذيب والشائعات، وأشهد محمداً عبد الله ورسوله أفضل المخلوقات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أولي الفضل والمكرمات.

أما بعد؛ فإن الإشاعة تعتبر من أخطر الأسلحة المدمرة للأشخاص والمجتمعات، ولها قدرة على تفتيت الصف الواحد وإثارة الفتن والصراعات، وتأجيج الحروب والأزمات، وإحداث البلابل والثوراث، والعبث بالمنجزات والثروات، ومن الجلي أن هناك أياد خفية –من الداخل والخارج- تقف وراء بثها، وذلك سنة ماضية وباقية من أول البعثة النبوية إلى ما شاء الله؛ لأن العداء والصراع بين الحق والباطل واضح ومستمر، وإن تنوعت الوسائل؛ ومن ثم فلا غرابة فيما نرى ونسمع من التخطيط والعمل على تفتيت كيان الأمة الإسلامية، والعمل على تقسيمها إلى دويلات متناحرة ومتقاتلة، فعلى الغيورين على الأمة الإسلامية السعي على إيقاف تلك الأقاويل والشائعات، التي تسري في جسد الأمة سريان النار في يابس الحطب، وتفسد في لحظات ما ينجز في سنوات.

لذلك أردت أن أجعل من الإشاعة موضوعا لهذه الورقات، لأنها أصبحت –وللأسف- في حاضرنا من أهم السلع الرائجات، والبضائع النافقات، محاولا أن أبين ما لها من أضرار ومخلفات، وسيكون الموضوع مقسما على الشكل الآتي:

المبحث الأول: تعريف الإشاعة وتاريخ ظهورها

المطلب الأول: الإشاعة نظرة لغوية واصطلاحية

المطلب الثاني: ظهور الإشاعة وتاريخ تطورها

المبحث الثاني: موقف الإسلام من الإشاعة وضررها على المجتمع

المطلب الأول: موقف الإسلام من الإشاعة

المطلب الثاني: خطر الإشاعة على المجتمع وآليات علاجها

الخاتمة

الدراسات السابقة في الموضوع:

لعل من أبرز الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع ومعالجته، أنه موضوع ما زال خلوا من أقلام الباحثين، وبمنأى عن مواضيع المحاضرين، فهو –على الرغم من أهميته- لم يحظ بما فيه الكفاية من والتدوين والتأليف، بله الكتابة والطباعة والتصفيف، وإبان جهدي المتواضع في كتابة هذا الموضوع وقفت على أربعة كتب تناولت موضوع الإشاعة بشيء من البيان والتفصيل، بعضها كتب مستقلة، وبعضها كان أعمالا لندوات أقيمت حول الموضوع، وسأوردها هنا مرتبة حسب الترتيب الأبجدي للأحرف:

الإشاعة والحرب النفسية: أبحاث الحلقة العلمية السابعة التي عقدت بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، في الفترة (٢٨ شوال إلى ٣ ذي القعدة ١٤٠٦هـ) الموافق: (٥-٩ يوليو ١٩٨٦م) الطبعة الأولى: الرياض، (١٤١٠هـ).

أعمال ندوة أساليب مواجهة الشائعات: مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

التأصيل الشرعي للإعلام الدعائي وترويج الشائعات: للدكتور/ علي شريف حماد، جامعة القدس المفتوحة، منطقة خان يونس التعليمية، بدون تاريخ.

الشائعات الوسيلة الإعلامية الأقدم في العالم: جان نويل، ترجمة تانيا ناجيا، دار الساقي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ٢٠٠٧م.

والذي نود إضافته هنا في هذا الموضوع الحديث عن خطر الإشاعة على السلم المدني، وأخذ نماذج حية من ذلك مهما أسعفنا الوقت، هذا التعرض إلى مواجهة الإسلام للشائعات، ووقوفه ضد الأقاويل المغرضة والترهات؛ لأن الإسلام دين رحمة ومحبة وتسامح، يدعو إلى كل ما شأنه أن يبعث الطمأنينة والسلام، ويحرم كل ما شأنه أن يبعث الفتنة والصدام.

المبحث الأول: تعريف الإشاعة وتاريخ ظهورها

المطلب الأول: الإشاعة نظرة لغوية واصطلاحية

الإشاعة لغة مأخوذة من فهل (شاع) قال صاحب القاموس المحيط: شاع يشيع، شيعا وشيوعا ومشاعا وشَيْعُوعَة، كديمومة، وشياعانا، محركة: ذاع وفشا[٥١٦].

وقال في اللسان: شاع الشيب شيعا وشياعا وشيعانا وشيوعا وشيوعة ومشيعا: ظهر وتفرق، وشاع الخبر في الناس يشيع شيعا وشيعانا ومشاعا وشيوعة، فهو شائع: انتشر وافترق وذاع وظهر، وأشاعه هو، وأشاع ذكر الشيء: أطاره وأظهره، ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض، والشاعة: الأخبار المنتشرة، وفي الحديث: أيما رجل أشاع على رجل عورة ليشينه بها؛ أي أظهر عليه ما يعيبه، وأشعت المال بين القوم، والقِدر في الحي إذا فرقته فيهم؛ وأنشد أبو عبيد:

فَقُلْتُ: لِأَهْلِي مَشِّرُوا الْقِدْرَ حَوْلَنَا وَأَيُّ زَمَانٍ قِدْرُنَا لَمْ تُمَشَّرِ؟[٥١٧]

وشاع بمعنى ذاع في المعنى والوزن، وذلك ما أشار له العلامة أحمد بن اجّمد -رحمه الله تعالى- في منظومته المسماة بالمترادف معنى ووزنا في اللغة العربية، قال مرتبا معاني وأوزان الكلمات الآتية على طريقة اللف والنشر المرتب:

وَأَلَّ وَاخْضَلَّ وَلَتَّ ذَاعَا لَجَأَ وَابْتَلَّ وَبَلَّ شَاعَا[٥١٨]

فالإشاعة إذن عند اللغويين تعني الذيوع والانتشار والتفرق، وقد اتخذ الاصطلاحيون هذا المعنى اللغوي جسرا عبروا من خلاله للمعنى الاصطلاحي للكلمة، إذ أصبحت تعني في الاصطلاح كل خبر ذاع وانتشر بين الناس، بغض النظر عن صدقه وكذبه، قال صاحب اللسان: وقولهم: هذا خبر شائع، وقد شاع في الناس، معناه قد اتصل بكل أحد فاستوى علم الناس به[٥١٩].

كما عرفت بأنها: "كل قضية أو عبارة مقدمة للتصديق تتناقل من شخص إلى شخص دون أن تكون لها معايير واضحة للتصديق" وبأنها: "بث خبر من مصدر ما في ظرف معين، ولهدف ما يبتغيه المصدر دون علم الآخرين، وانتشار هذا الخبر بين أفراد مجموعة معينة" أو هي بعبارة أخرى: "الأحاديث والأخبار والأقوال التي يتناقلها الناس، والقصص التي يروونها، دون التثبت من صحتها، أو التحقق من صدقها"[٥٢٠].

---

[٥١٦] – القاموس المحيط: باب العين، فصل الشين، مادة (شاع)

[٥١٧] – لسان العرب: فصل الشين، مادة (شاع) (١٩١/٨).

[٥١٨] – منظومة المترداف معنى ووزنا: للعلامة أحمد بن اجمد اليدالي، اللوحة (٣) مخطوط بحوزتي.

[٥١٩] – لسان العرب: فصل الشين، مادة (شاع) (١٩١/٨).

[٥٢٠] – التأصيل الشرعي للإعلام الدعائي وترويج الشائعات: للدكتور/ علي شريف حماد، ص (٥).

وقد قدم علماء النفس وعلماء الاجتماع عدة تعاريف لهذه الظاهرة، نذكر من بين تلك التعاريف، تعريف "البورت" الذي عرفها بأنها: "كل قضية أو عبارة نوعية مقدمة للتصديق، وتتناقل من شخص لآخر عادة بالكلمة المنطوقة دون أن تكون لها معايير أكيدة للصدق، وتدور حول أحداث أو حول شخصيات، وتزدهر الشائعات في غيبة المعايير الأكيدة للصدق" كما عرفها "أبو النيل" بقوله: "الشائعة: أحاديث غير موثوقة، يتناقلها الناس عن أحوالهم وأحوال بلدانهم خلال الشبكة الاجتماعية نتيجة تقييم الأخبار"[٥٢١].

كما يمكن أيضا تعريفها بأنها: بث خبر من مصدر ما، في ظرف معين، ولهدف ما يبغيه المصدر دون علم الآخرين، وبالجملة فهي الأحاديث والأقاويل والأخبار والقصص التي يتناقلها الناس، ويروونها دون التثبت من صحتها، أو التحقق من صدقها، كما تعرف الإشاعة أيضًا بأنها أخبار مشكوك في حجتها.

وقد واجه الإسلام الإشاعة بكثير من الحيطة والتثبت قبل نقلها وتلقفها، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}[٥٢٢].

وقال: –صلى الله عليه وسلم- «كفى بالمرء كذبًا، أن يحدث بكل ما سمع». وفي رواية: «كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما يسمع»[٥٢٣].

ويقول الإمام مالك رحمه الله: «اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلم الإنسان بكل ما سمع»[٥٢٤]. وقال المناوي: «أي إذا لم يتثبت؛ لأنه يسمع عادة الصدق والكذب؛ فإذا حدث بكل ما سمع لا محالة يكذب، والكذب الإخبار عن الشيء على غير ما هو عليه، وإن لم يتعمد، لكن التعمد شرط الإثم»[٥٢٥].

وقال: –صلى الله عليه وسلم- عن الذين ينقلون كل ما يسمعون: «بئس مطية الرجل زعموا» لأن كلمة: "زعموا" مذمومة في كثير من مواردها[٥٢٦].

وقال الإمام البغوي -رحمه الله- في "شرح السنة": «إنما ذم هذه اللفظة؛ لأنها تستعمل غالبًا في حديث لا سند له ولا ثبت فيه، وإنما هو شيء يحكى على الألسن، فشبه النبي –صلى الله عليه وسلم- ما يقدمه الرجل أمام كلامه ليتوصل به إلى حاجته من قولهم: زعموا، بالمطية التي توصل بها الرجل إلى مقصده الذي يؤمه،

---

[٥٢١] – التأصيل الشرعي للإعلام الدعائي وترويج الشائعات: للدكتور/ علي شريف حماد، ص (٦).

[٥٢٢] – سورة الحجرات: الآية (٦).

[٥٢٣] – أخرجه الإمام مسلم في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع. (١٠/١).

[٥٢٤] – سير أعلام النبلاء: لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (٦٧/٨).

[٥٢٥] – فيض القدير شرح الجامع الصغير: لزين الدين محمد تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي (ت: ١٠٣١هـ) (٢/٥).

[٥٢٦] – سنن أبي داود: باب قول الرجل زعموا، (٢٩٤/٤) الحديث رقم: (٤٩٧٢).

فأمر النبي –صلى الله عليه وسلم- بالتثبت فيما يحكيه، والاحتياط فيما يرويه، فلا يروي حديثًا حتى يكون مرويًا عن ثقة»[٥٢٧].

وقال الإمام عبد الرحمن بن مهدي: «لا يكون الرجل إمامًا يقتدى به؛ حتى يمسك عن بعض ما سمع»[٥٢٨].

والإشاعة تتنوع إلى أنواع عدة نكر منها على سبيل المثال، إشاعة الرعب:وهي الإشاعة التي تستهدف بث الخوف في نفوس الجنود أو المدنيين أيام الحروب، بحيث يدفعهم بث تلك الشائعات إلى الهروب أو اليأس أو التسليم، ومنها كذلك الإشاعات التي تتعلق بالأمراض والأوبئة وانتشارهما وخطورتهما وتخويف الناس منها، ومن استعمالات بعض الأشياء اليومية، أو الإشاعات التي تتعلق بسلعة ما، كما منها التي تنذر بحدوث زلازل أو كوارث بيئية إلى غير ذلك، مما يثير البلبلة والفزع في نفوس الآمنين في دورهم وبلدانهم، أضف إلى تلك الأنواع-وهو من أخطرها- تلك الإشاعات التي تهدف إلى الشغب تطلق له الشرارة الأولى التي تحول حادثة بسيطة إلى مظاهرات ومشاجرات وتزيد من عنفواتها بل ربما حولت الأمر إلى ثورة وصراع دائم[٥٢٩].

---

[٥٢٧] – شرح السنة: لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (ت: ٥١٦هـ) (٣٦٢/١٢).

[٥٢٨] – صحيح مسلم: باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، المقدمة، الحديث (٥) (١١/١).

[٥٢٩] – أعمال ندوة أساليب مواجهة الشائعات: ص (١٢).

المطلب الثاني: ظهور الإشاعة وتاريخ تطورها

منذ أن وجد الإنسان ووجد معه الصراع ظهر نوع يستهدف أعماق البشر، يؤثر فيهم ويوجههم الوجهة المرغوب فيها، فإذا كانت الحرب السافرة تستهدف بأسلحتها جسد الإنسان وأرضه، فهذه الحرب المستترة تستهدف عمقه وعقله ونفسه وقيمه، فالحرب السافرة تستهدف شيئا ماديا وهذه تستهدف شيئا معنويا، ومن هنا أطلق عليها البعض الحرب المعنوية، وعرفت بالحرب النفسية، وكما أن الحرب المادية أسلحتها من الحجر تطورا إلى الصاروخ النووي، فإن الحرب النفسية لها أسلحتها التي تتزعمها الإشاعة[٥٣٠].

والإشاعة تعتبر قديمة قدم الإنسانية، وينتظر أن تبقى ما بقي الإنسان، ولا يكاد يخلو منها مجتمع منذ فجر التاريخ وحتى اليوم، وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم الذي روى لنا أخبار الأمم السابقة، نجد أن أول إشاعة في التاريخ كانت هي تلك الإشاعة التي أطلقها إبليس وروج لها لإغواء آدم عليه السلام وزوجه، ليخرجهما من الجنة، وذلك عندما وسوس لهما وحرضهما على الأكل من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها، حيث أن إبليس وظف سلاح الإشاعة لإغواء آدم وحواء، وإقناعهما بالأكل من تلك الشجرة، حيث وصفها لهما بأنها شجرة الخلد، أو شجرة الملك الطويل الذي لا يبلى، ولم يكتف بذلك، بل أقسم لهما أنه لهما من الناصحين، وأنه يريد لهما الخير، وأنهما إذا أكلا منها سيصبحان من المخلدين، وتصبح لهما الأموال التي لا تنتهي ولا تفنى، وأن الله لم يمنعهما من الأكل منها إلا كراهية أن يكونا من كبار الملائكة، قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)[٥٣١]. [٥٣٢].

فهذه أول إشاعة في التاريخ، وقد وردت في القرآن، وقد تحقق لمروجها ما أراد من الإغواء، وبسبب تلك الإشاعة الكاذبة من إبليس لآدم -عليه السلام- وحواء استطاع أن يغويهما ويوقعهما في المعصية التي نتج عنها خروجهما من الجنة، وهكذا نرى أن إبليس قد استخدم سلاح الإشاعة الكاذبة في خداعه لآدم عليه السلام، هذا السلاح الذي يعد من أخطر الأسلحة وأمضاها وأكثرها فتكا في الأمم، خاصة أثناء الحروب والأزمات والفتن[٥٣٣].

وقد وردت أيضا في القرآن الكريم قصص لأقوام سابقين، وكيف أنهم كذبوا أنبياءهم وأشاعوا حولهم الافتراءات الكاذبة، وهذه القصص ساقها القرآن الكريم لتثبيت قلب النبي –صلى الله عليه وسلم- حيث بين له الله تعالى أن ما أشاعه المشركون عنه من إشاعات كاذبة يشبه ما أشاعه الأقوام السابقون عن أنبيائهم، وهكذا نجد أن أطهر الخلق -وهم الأنبياء الذين اصطفاهم الله عز وجل على سائر البشر- لم يسلموا من الإشاعة وشرها، ولم ينج نبي من الأنبياء من حملة الافتراءات والأراجيف التي أشاعتها وبثتها القوى المعادية لرسالة الحق، فنوح -عليه السلام- الذي دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وتحمل في سبيل تلك

---

٥٣٠ – الإشاعة والحرب النفسية: (٤٣–٤٤).

٥٣١ – سورة طه، الآيات (١١٦–١٢٣).

٥٣٢ – التأصيل الشرعي للإعلام الدعائي وترويج الشائعات: للدكتور/ علي شريف حماد، ص (٨–٩).

٥٣٣ – التأصيل الشرعي للإعلام الدعائي وترويج الشائعات: للدكتور/ علي شريف حماد، ص (١٠).

الدعوة الكثير من الأذى، وصبر عليهم طيلة تلك المدة، تعرض للكثير من الإشاعات والاتهامات التي أطلقها قومه ضد رسالته ودعوته، فمرة يشيعون بأنه يريد لنفسه جاها وزعامة، وأخرى أنه يريد أن يتفضل عليهم، بل أكثر من ذلك أشاعوا عنه صفة الجنون، كما ورد ذلك في قول الله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ)[٥٣٤].

أما نبي الله هود الذي أرسله الله إلى قوم عاد فقد واجه من الإشاعات الكثير، فمرة يشيع عنه قومه الطيش والسفه والكذب، وفي موضع آخر أشاع عنه الزعماء من قومه أمرين ظنوهما كفيلين بانصراف الناس عنه وعن دعوته، الأمر الأول: أنه لم يأت ببينة، إذ قالوا له على رؤوس الأشهاد: يا هود إننا لم نسمع منك كلاما يقنعنا، والأمر الآخر هو أنهم أشاعوا عنه أنه مصاب في عقله وأنه يهذي، لأن أحد آلهتهم قد مسه بسوء، فأصيب بالهذيان، قال تعالى: (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[٥٣٥]. [٥٣٦].

أما صالح ـعليه السلامـ فقد واجه من قومه ثمود ما واجهه غيره من الرسل، فقد وظف قومه ضده سلاح الإشاعة، وحاولوا التأثير على الناس بإشاعتهم أن الذين آمنوا مع صالح ـعليه السلامـ وصدقوه هم جماعة من المستضعفين، وأنهم يشكون في صدق ما جاء به، قال تعالى: (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ)[٥٣٧]. [٥٣٨].

ولم يسلم نبي الله موسى ـعليه السلامـ من الإشاعات الكاذبة، فقد أشاع عنه فرعون أنه ساحر يريد إخراج المصريين من أرضهم، وقد لقيت هذه الإشاعة تصديقا وقبولا لدى قوم فرعون، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في قول الله تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ)[٥٣٩] كما أشاع عنه أنه يريد الإفساد في الأرض، وأنه كذاب، وأنه يبحث عن الزعامة والظهور، وقد جاء ذلك في قول الله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا

---

[٥٣٤] – سورة المومنون: الآيات (٢٣–٢٥).

[٥٣٥] – سورة هود، الآيات: (٥٠–٥٦).

[٥٣٦] – التأصيل الشرعي للإعلام الدعائي وترويج الشائعات: للدكتور/ علي شريف حماد، ص (١١).

[٥٣٧] – سورة هود، الآيات: (٦١–٦٢).

[٥٣٨] – التأصيل الشرعي للإعلام الدعائي وترويج الشائعات: للدكتور/ علي شريف حماد، ص (١١).

[٥٣٩] – سورة الأعراف: الآيات: (١٠٩–١١٠).

سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ)[٥٤٠]. [٥٤١].

أما نبينا –صلى الله عليه وسلم- فقد واجه منذ بداية الدعوة حملات الإشاعة والتشكيك، ومنها ما قالوا عنه في مكة من أكاذيب: كتهمة الجنون والسحر والكذب، ولكن الله تعالى كان لهم بالمرصاد، وكان ينزل على نبيه –صلى الله عليه وسلم- من سبع سماوات آيات تكذبهم وتسفههم ويبرئ نبيه –صلى الله عليه وسلم- من أكاذيبهم، وفي الفترة المدنية على وجه الخصوص ازدادت الإشاعات وتضاعفت، وصار يختلقها ويديرها أساطين الشر: اليهود، والمنافقون، ولولا تماسك البنية الاجتماعية الإسلامية لكان لمكر هؤلاء شأن آخر، ولكن التهذيب الإسلامي للمجتمع أو تأكيده على وحده كلمة المؤمنين وطاعة الرسول –صلى الله عليه وسلم- فوت على أعداء الله أغراضهم.

ولم تقتصر الإشاعة قديما على ما ورد في القرآن الكريم من قصص للأنبياء وصراعهم مع أقوامهم، وإنما يظل التاريخ مليئا بالنماذج والصور التي تدل على وجود الإشاعة منذ القدم، حيث ظهرت أول كتابة حول الحرب النفسية والإشاعات على يد القائد العسكري الصيني: "صن تزوا" الذي عاش في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، الذي دعا إلى تطبيق هذا النوع من الحرب بشكل نظامي ومخطط، وأكد على أهمية تحطيم إرادة القتال لدى العدو، وذلك باستخدام عنصر المفاجأة وإشاعة الخيانة العظمى بين القيادات العليا.

وفي مصر القديمة استخدم "تحوتمس الثالث" (١٥٠٤-١٤٥٠ ق.م) قد استخدم الإشاعة في حروبه خاصة عند فتحه ليافا في فلسطين، وفي الصين القديمة (٥٠٠ ق.م) وبعدها استخدمها العسكريون السحرة والعرافون لجمع المعلومات، وفي اليونان القديمة نحو (٧٥٠ ق.م) وبعدها تم استخدام سلاح الإشاعة عبر الشتم والسب والتشهير السياسي للتأثير على الروح المعنوية للعدو.

كما استخدم أباطرة الرومان (حراسا للإشاعات) مهمتهم مكافحة الإشاعات التي كانت تنتشر بين شعوب ومدن الإمبراطورية الرومانية من حين لآخر، ولقد كانت مهمة هؤلاء الحراس تتركز في الاندماج بين الجماهير، ونقل ما يسمعونه منهم للإمبراطور، وكذلك كان يطلب من هؤلاء الحراس القيام بحملات مضادة من الإشاعات إذا اقتضى الأمر ذلك.

والتاريخ القديم يزخر بكثير من الإشاعات التي لا تزال أصداؤها قائمة حتى الآن بين ثنايا الجماعات المختلفة، والتي أودت بحياة الكثير ممن حملوا مشعل العلم للإنسانية، إما إلى الموت وإما إلى السجن، كما حدث لسقراط الذي ساقته الإشاعة إلى الموت، إذ اتهم بإفساد الشباب في أثينا وحضهم على الثورة على النظام.

ولقد صاحبت الشائعات الإنسانية في السلم وفي الحرب، فإذا نظرنا إلى فترة الحرب العالمية الثانية سنجد أنه قد ظهرت عدد من المحطات الإذاعية التي كانت تعمل داخل ألمانيا أو على حدود الدول المتاخمة لها، بهدف معلن وهو معارضة هتلر ونظامه النازي، بينما هي تهدف في الواقع إلى خداع أعداء هتلر من الحلفاء، وذلك ببث الشائعات وتحطيم الروح المعنوية لدى شعوبهم[٥٤٢].

---

[٥٤٠] – سورة غافر: الآيات: (٢٣-٢٥).

[٥٤١] – التأصيل الشرعي للإعلام الدعائي وترويج الشائعات: للدكتور/ علي شريف حماد، ص (١٢).

[٥٤٢] – التأصيل الشرعي للإعلام الدعائي وترويج الشائعات: للدكتور/ علي شريف حماد، ص (١٨).

ولقد تولى إدارة إحدى تلك المحطات في فرنسا من ١٩٣٩ إلى ١٩٤٠ شخص يدعى فرودنيت، وقد كان يزعم أنه فرنسي محب لوطنه، وأنه يقوم بتحذير إخوانه الفرنسيين وحثهم على إنقاذ فرنسا، حيث برع في مخاطبة الجماهير الفرنسية، ومناقشة همومها وما جلبت لهم سياسة بريطانيا الاستعمارية التي يقفون معها من ويلات مع التركيز على بث الشائعات عما تفعله الحكومة الفرنسية، وزرع الشكوك حول ما تصدره من قرارات وما تقوم به من خطوات، ورفضها الدائم للسلام، في الوقت الذي يتمتع أعضاء الحكومة الفرنسية بمباهج الحياة والمآكل الفاخرة من ألذ وأطيب الأطعمة والمشارب، والمسليات المتوفرة، بينما يترك الجنود الفرنسيون لأقدارهم في الخنادق، وليتحملوا أصعب الظروف البائسة وأجواء الشتاء القارس والرواتب القليلة، والتقشف المرير في مواجهة جيش قوي لا يقهر، وقد قرعهم فرودونيت ووبخهم على قبول هذا الأمر.

ولقد كان لتلك الإشاعات أثر كبير على الروح المعنوية عند الفرنسيين، والذين كانوا يتابعون الاستماع إلى هذا البث الإذاعي على الرغم من أنهم يعرفون حقيقته، ومع هذا فإنهم كانوا يحرصون على متابعة هذه الإذاعة، لأنهم يرون أنها أكثر إمتاعا لهم مما تبثه وسائل إعلامهم الفرنسية، ولم يردعهم عن سماع هذه المحطة المعادية لهم كونها موالية للألمان، ومتخفية في ثياب وطنية.

وفي حين أن توظيف الألمان لسلاح الإشاعة في الحرب العالمية الثانية قد لاقى نجاحا منقطع النظير تجاه بعض دول الحلفاء خاصة فرنسا، فإنه لم يحظ بكبير نجاح تجاه دولة أخرى من دول الحلفاء وهي بريطانيا، وعندما سئل أحد العلماء البريطانيين عن سبب فشل الشائعات الألمانية والمنشورات الدعائية الموجهة ضد بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية، كان جواب ذلك العالم هو أنه قد غاب عن الألمان ما يتمتع به الشعب البريطاني من حريات إعلامية.

وهكذا نلاحظ أن الإشاعة ظهرت من أقدم العصور كسلاح فتاك وناجح في تأجيج الأزمات والصراعات، وليس ببعيد ولا غائب على الجميع ما تحدثه من بلابل وفتن وثورات، لذلك ينبغي علينا معاشر المسلمين الحذر كل الحذر من إلقاء أو تلقف الأقاويل والإشاعات، فالله سبحانه وتعالى نهانا أن نتلقى الإشاعة الكاذبة بألسننا، أو ننطق بها بأفواهنا، تحسبونه هينا وهو عند الله عظيم.

وكما أسلفنا فالإشاعة هي أقدم الوسائل الإعلامية في التاريخ، فقبل اعتماد الكتابة، كانت المشافهة هي قناة التواصل الوحيدة في المجتمعات، وكانت الشائعة وسيلة لنقل الأخبار وبناء السمعة أو تقويضها، وتأجيج الفتن أو الحروب، ويبدو أن حضور الصحافة، ومن ثم البث الإذاعي، وختاما ثورة الإعلام المرئي والمسموع لم تستطع إخماد الشائعة، فبرغم تكاثر الوسائل الإعلامية لا تزال العامية تستقي الكثير من معلوماتها عن طريق المحادثة الشفهية، بل إن جل ما فعلته الوسائل الإعلامية الأولى، بعيدا عن إخماد الشائعات كان جعلها أكثر تخصصا، بحيث باتت كل وسيلة تنشر الشائعات في مجال محدد وخاص بها[٥٤٣].

المبحث الثاني: موقف الإسلام من الإشاعة وضررها على المجتمع

المطلب الأول: موقف الإسلام من الإشاعة

كما أسلفنا سابقا فإن الشائعات قديمة قدم الإنسانية، وقد تطورت مع تطور أحوال الشعوب وظروفها، ونظرا لدورها الخطير في التأثير على الرأي العام، خاصة عند أولئك الذين لا يملكون الأهلية الكافية، والاستعداد الذاتي لمقاومتها، فإن الإسلام قد اتخذ منها موقفا واضحا يقوم على نبذها ومكافحتها، إلا في أوقات الضرورة، مثل حالة الحرب، ولذلك فقد حذر الإسلام من ناقلي الإشاعة ومروجيها، واعتبر أن الاشتغال

---

[٥٤٣] – الشائعات الوسيلة الإعلامية الأقدم في العالم: جان نويل، ترجمة تانيا ناجيا، ص (١٤).

بنشر الشائعات بين أفراد المجتمع يعد سلوكا منافيا للفضائل والأخلاق والآداب، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)[٥٤٤] وقال عز من قائل: (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ)[٥٤٥].

والشائعة من وجهة نظر الإسلام في الغالب لا تجد الرواج إلا عندما تكون كلمة الحق غائبة أو مغيبة، وأما إذا كان صوت الحق عاليا فإن الشائعات نادرا ما تنتشر، وقد اعتبر الإسلام أن الشائعات لا تنتشر إلا عند أولئك الذين وصفهم النبي –صلى الله عليه وسلم- بالإمعات، وهم أولئك القوم الذين يتبعون كل ناعق وينقلون كل قول، ويقلدون كل فعل دون نظر في الحسن الفعلي أو قبحه، يقول الرسول –صلى الله عليه وسلم- «لا يكن أحدكم إمعة، إن أحسن الناس أحسن، وإن أساؤوا أساء، ولكن وطنوا أنفسكم على أن تحسنوا إذا أحسن الناس، وأن تجتنبوا الإساءة إذا أساؤوا»[٥٤٦].

ومن أمثلة الإشاعة في الإسلام ما حدث في صفوف المسلمين من تضعضع في غزوة أحد، بفعل إشاعة مغرضة أطلقها المشركون، مفادها أن النبي –صلى الله عليه وسلم- قد قتل، وقد ابتكر هذه الإشاعة أبو سفيان بن حرب، ووظفها في وقت عصيب من أوقات المعركة، وظروف بالغة القسوة، فكان لتلك الإشاعة الأثر الشديد على نفوس المسلمين، فخارت قواهم، وألقى كثير منهم أسلحته، ولولا لطف الله بالمسلمين في تلك الظروف لنالت منهم تلك الشائعة كل منال، وقد صور ذلك الصحابي الجليل أنس بن النضر، حينما مر بعمر بن الخطاب في جمع من الأنصار والمهاجرين قد ألقوا سلاحهم، فقال لهم: ما يجلسكم؟ فقالوا: قتل رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ثم استقبل القوم حتى قتل[٥٤٧].

ولقد بلغت تلك الإشاعة من الخطورة مبلغا جعل النبي –صلى الله عليه وسلم- يتولى الرد عليها بنفسه، حيث صعد بمن معه من الصحابة إلى جبل أحد ليرد إلى المسلمين الثقة في أنفسهم ويضرب تأثيرات تلك الإشاعة، ويفضح عدم مصداقيتها، حيث ينادي: إلي يا فلان إلي يا فلان، أنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وهكذا كانت الحقيقة الدامغة القاضية بوجود رسول الله –صلى الله عليه وسلم- حيا أبلغ رد على ما أشيع من مقتله، ولم يترتب على هذه الحقيقة إزالة الآثار المخربة والمدمرة والمثبطة لتلك الإشاعة فحسب، بل أدت دورها الإيجابي الفعال في تجميع قوة المسلمين المبعثرة، وفي رد الثقة إليهم بالنصر.

ومن نماذج الإشاعات في الإسلام كذلك قصة حادثة الإفك، وهي قصة أراد بها المنافقون إثارة القلاقل وإحداث الفتن والأراجيف والعمل على النيل ممن لهم شأن في قيادة المجتمع الإسلامي.

إن تلك الإشاعة التي اخترعها المنافق عبد الله بن أبي بن سلول آلمت نفس الرسول –صلى الله عليه وسلم- وأحزنته، قال تعالى: (إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ

---

[٥٤٤] – سورة الحجرات: الآية: (٦).

[٥٤٥] – سورة القلم: الآيات: (١٠–١١).

[٥٤٦] – سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ) باب ما جاء في الإحسان والعفو، الحديث رقم: (٢٠٠٧).

[٥٤٧] – سيرة ابن إسحاق: (١/٣٣٠). والاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والثلاثة الخلفاء، لسليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، (١/٣٨٠).

منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين)[٥٤٨] ثم يقول تعالى: (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم، وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون)[٥٤٩].

ونظرا لخطورة تلك الإشاعة فقد أورد الله عز وجل قرآنا يتلى تولى من خلاله تكذيبها ودحضها، وذلك في آيات عديدة من سورة النور، كما حذر القرآن في غير ما موضع من تصديق الإشاعات الكاذبة، والانخراط في الترويج لها، قال تعالى: (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة)[٥٥٠]، وقال تعالى: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا)[٥٥١] وفي تلك الآية إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل التحقق منها، فيخبر بها ويفشيها وينشرها، دون أن يتأكد من مصداقيتها وصحتها من عدمها، وقد روى مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع»، وفي حديث آخر: «من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين»[٥٥٢].

من السهل أن تنطلق الإشاعة لكن من الصعوبة بمكان أن تتوقف، فالإشاعة تنتشر انتشار النار في الهشيم، وتنتشر بسرعة الضوء والصوت عن طريق وسائل مختلفة، وهي قد تكون الإشاعة صادقة، بمعنى أن المعلومات الواردة في الإشاعة تحتوي على نواة من الحقيقة، ومثال ذلك: وجود إشاعة حول زيادة في رواتب الموظفين، أو استقالة مسئول من منصبه، أو ارتفاع مواد استهلاكية، أو تحقق الهزيمة أو النصر في الحرب، وكل تلك الأمور قد تتحقق في بعض الأحيان.

وقد تكون الإشاعة كاذبة بالكامل، أو ترتكز على معلومات غير مؤكدة أو عارية من الصحة.

كما أنها قد تكون صادقة وكاذبة في الوقت نفسه، وذلك مثل ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية، عندما قام البيت الأبيض بتسريب أسماء محتملة وغير محتملة لمرشحين للمحكمة العليا، كوسيلة لجس نبض الجماهير، وردود أفعالهم حول أسماء القضاة المقبولين أو المرفوضين، فالجانب الصادق من هذه الإشاعة هو أن عددا من الأسماء المحتملة كان بالفعل صحيحا، والجانب الكاذب منها هو أن بعض الأسماء لم يكن واردا ترشيحه أصلا.

---

[٥٤٨] – سورة النور: الآيات: (١١-١٢).

[٥٤٩] – سورة النور: الآيات: (١٣-١٩).

[٥٥٠] – سورة النور: الآية: (١٩).

[٥٥١] – سورة النساء: الآية: (٨٣).

[٥٥٢] – أخرجه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ) في مسنده، الحديث رقم: (١٨٢١١).

وغالبا ما يكون الهدف من الإشاعة هو استمالة عقل الإنسان وقلبه ونفسه، وليس جسده؛ أي أنها تتجه إلى معنوياته لا ممتلكاته، حيث إن ميدانها هو الشخصية، وتستهدف إشاعة الفكر والعقيدة والروح لتحطيم معنويات الأعداء، سواء مدنيين أو عسكريين على السواء، ففي القرآن الكريم نهى الله رسوله الكريم عن مطاوعة من يتصف بهذه الصفة الذميمة، بقوله تعالى: {ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم}[٥٥٣].

ولابد من التخطيط لمكافحة الشائعات في عصرنا الحاضر، فعلى الإعلام أن يقوم بدور هام في محاربة الشائعات، والرد عليها ومحاصرتها، ثم القضاء عليها بالحقائق، وتحارب الشائعات بجملة من الأمور من بينها:

تدعيم الثقة بالقوات المسلحة لكل دولة، وذلك من خلال رفع مستوى الوعي وأخذ الحذر والحيطة من شائعات العدو.

كما أنه يجب اشتراك أكبر عدد من القادة في حملة التصدي ضد الشائعات، وعن طريق وسائل الإعلام، لإظهار الهدف والغرض الحقيقي لبث سموم الشائعات المغرضة بين الناس، وبالأخص أفراد وضباط القوات العسكرية. وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (استعينوا على قضاء حوائجكم بالصبر والكتمان)[٥٥٤] وكان -صلى الله عليه وسلم- من أهم الأساليب التي حصن بها أصحابه من الإشاعات الضارة أسلوب ربط المجتمع الداخلي، وتغيير أسلوب الشائعات لدحضها وقتلها في مهدها قبل أن تؤثر في الناس.

والشائعة ضررها أشد من ضرر القتل؛ لأنها من أهم الوسائل المؤدية إلى الفتنة والوقيعة بين الناس، ويقول الله تعالى: (وَالْفِتْنَةُ أَشَدّ مِنَ الْقَتْلِ)[٥٥٥]، (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ)[٥٥٦] وإنما كانت الفتنة أشد من القتل؛ لأن القتل يقع على نفس واحدة لها حرمة مصانة، أما بالفتنة فيهدم بنيان الحرمة ليس لفرد وإنما لمجتمع بأسره.

فنشر الإشاعات سلاح خطير يفتك بالأمة ويفرّق أهلها، ويسيء ظن بعضهم ببعض، ويفضي إلى عدم الثقة، والإسلام يحرم إشاعة ما يمس أعراض الناس وأسرارهم الخاصة، قال الله تعالى في محكم التنزيل: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)[٥٥٧].

هذا هو الحكم الأخروي، وبالنسبة للحكم المترتب على الشائعة الكاذبة فهو حد القذف إن توفرت شروطه، وإلا فالتعزير، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا

---

[٥٥٣] – سورة القلم: الآيات: (١٠-١١).

[٥٥٤] – مسند الشهاب: لأبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي المصري (ت: ٤٥٤هـ) باب استعينوا على أموركم بالكتمان، رقم (٧٠٧) (٤١٠/١)،

[٥٥٥] – سورة البقرة: من الآية: (١٩١).

[٥٥٦] – سورة البقرة: من الآية: (٢١٧).

[٥٥٧] – سورة النور: الآية (١٩).

تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ)[٥٥٨] وقال تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً)[٥٥٩].

وقد سمى القرآن العظيم مطلقي الشائعات بالمرجفين، والإرجاف في اللغة: الاضطراب الشديد، ويطلق أيضا على الخوض في الأخبار السيئة وذكر الفتن؛ لأنه ينشأ عنه اضطراب بين الناس. والإرجاف حرام، وتركه واجب؛ لما فيه من الإضرار بالمسلمين، وفاعله يستحق التعزير. قال تعالى: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً)[٥٦٠].

قال القرطبي: "لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ : لسلطناك عليهم فتستأصلهم بالقتل". وبلغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن ناساً من المنافقين يثبطون الناس عنه في غزوة تبوك، فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه، وأمرهم أن يحرقوا عليهم البيت، ففعل طلحة ذلك[٥٦١].

ومروّج الشائعة عضو مسموم، يسري سريان النار في الهشيم، يتلوّن كالحرباء، وينفث سمومه كالحية الرقطاء، ديدنه الإفساد والهمز، وسلوكه الشر واللمز، وعادته الخبث والغمز مروّج الشائعة لئيم الطبع، دنيء الهمة، مريض النفس، منحرف التفكير، صفيق الوجه، عديم المروءة، ضعيف الديانة، يتقاطر خسَّة ودناءة، قد ترسّب الغلّ في أحشائه، فلا يستريح حتى يزبد ويُرغي، ويفسد ويؤذي، فتانٌ فتاكٌ، ساع في الأرض بالفساد، للبلاد والعباد.

والشائعات جريمة ضد أمن المجتمع، وصاحبها مجرم في حق دينه ومجتمعه وأمته، مثيرٌ للاضطراب والفوضى في الأمة، وقد يكون شراً من مروّج المخدرات، فكلاهما يستهدف الإنسان، لكن الاستهداف المعنوي أخطر وأعتى، وإنك لتأسف أشد الأسف ممن يتلقى الشائعات المغرضة، وكأنها حقائق مسلّمة فيلطّخ سمعه وبصره من الشائعات الباطلة.

وما استبيح دم أمير المؤمنين عثمان بن عفان –رضي الله عنه- إلا بالشائعات التي تحمل الكذب والافتراء والطعن عليه -رضي الله عنه- والأمثلة كثيرة.

وقد عدّ الإسلام نقل الشائعات سلوكا مرذولاً، منافيا للأخلاق النبيلة والسجايا الكريمة، والمثل العليا التي جاء بها الإسلام وحثت عليها شريعتنا الغراء، من الاجتماع والمحبة والمودّة والإخاء، والتعاون والتراحم والتعاطف والصفاء، وهل الشائعة إلا نسف لتلك القيم ومعول هدم لهذه المثُل؟!

كما أن الإسلام حذر من الغيبة والوقيعة في الأعراض، والكذب والبهتان والنميمة، بين الناس، وهل الشائعة إلا كذلك؟!

---

[٥٥٨] – سورة النور: الآية: (٤).

[٥٥٩] – سورة الآحزاب: الآية (٥٨).

[٥٦٠] – سورة الأحزاب: الآيات (٦٠–٦١).

[٥٦١] – الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ) (٢٢٥/١٤).

زد على ذلك أن الإسلام أمر بحفظ اللسان، وأبان خطورة الكلمة، وحرّم القذف والإفك، وتوعّد محبّي رواج الشائعات بالعذاب الأليم، فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)[٥٦٢].

أضف إلى ذلك أن المسلم ينبغي أن يغلب حسن الظن بأخيه المسلم، قال الله تعالى: (لَّوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَـذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ)[٥٦٣].

والشائعات مبنية على سوء الظن بالمسلمين، والله عز وجل يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)[٥٦٤]، وقد أخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا"[٥٦٥].

بل أكثر من ذلك حث الإسلام على التثبت والتبيّن في نقل الأخبار، وأن يطلب المسلم الدليل البرهاني على أية شائعة يسمعها، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)[٥٦٦]، وقرأ الأخوان: حمزة و الكسائي: فتثبّتوا، قال العلامة زين بن احمد في منظومته المسماة: "اللغرر السواطع على الدرر اللوامع في القراءات السبع":

إشمام صاد صوت زاي ان تبع ولهما تبينوا من الثبات		بالدال عند الأخوين قد سمع هنا ومثله الذي في الحجرات[٥٦٧]

ولا ننسى أن نذكر بأن الله سبحانه وتعالى أخبر أن الإنسان مسئول أمام الله عز وجل ومحاسب عن كل صغير وجليل: (مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)[٥٦٨]، وقال تعالى : (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ)[٥٦٩].

---

[٥٦٢] – سورة النور: الآية: (١٩).

[٥٦٣] – سورة النور: الآية: (١٢).

[٥٦٤] – سورة الحجرات: الآية (١٢).

[٥٦٥] – صحيح البخاري: باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، الحديث (٦٠٦٤) ومسلم في صحيحه أيضا، باب النهي عن التحاسد والتدابر والتباغض، الحديث: (٢٥٥٨).

[٥٦٦] – سورة الحجرات: الآية: (٦).

[٥٦٧] – الغرر السواطع على الدرر اللوامع: للعلامة زين العابدين بن احمد رحمه الله، (٢/ ٤٥).

[٥٦٨] – سورة ق: الآية: (١٨).

[٥٦٩] – سورة النور: الآية (١٥).

كما أن الإسلام ينهى أتباعه أن يطلقوا الكلام على عواهنه، ويُلغوا عقولهم عند كل شائعة، وتفكيرَهم عند كل ذائعة، أو ينساقوا وراء كل ناعق، ويصدّقوا قول كل دعيٍّ مارق، أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع)"، وفي رواية: "كفى بالمرء إثما". كما سبق بيان ذلك.

الخاتمة

بعد هذه الجولة الخاطفة في رحاب الشائعات وأضرارها الناجمة عنها، والتي تنعكس على مناحي شتى، أهمها وأخطر انعكاساتها على زعزعة السلم الأهلي، يتضح لنا جمة من الأمور والمسائل نذكر منها أن الشائعة تتطور بتطور العصر ومروج الشائعة اليوم لا يقل خطورة عن مروج المخدرات، فكلاهما مروجان يستهدفان قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق.

أن الشائعة أسلوب قذر تستخدمه الدول في حربها النفسية ضد من عادت من الدول. ومن الأمور التي قد تكافح بها الشائعة وتدحض ويقضى عليها، بيان الحقائق الثابتة من طرف العلماء وذوي الخبرة، مع أن حرية الرأي ووسائل الإعلام. يمكن أن تقوم في ذلك بدور فعال. هذا بالإضافة إلى الآثار السيئة للإشاعة على المجتمع وعلى الفرد، ففيها اتهام البريء بما ليس فيه، كما أنها تلوث الذمم والألسنة نتيجة الخوض في أمور بلا تثبت، وانعدام الثقة المتبادلة في المجتمع، وشماتة الناس، وخاصة إذا كان منشأ الإشاعة من العاملين في حقل الدعوة وشباب الصحوة.

كما الإشاعة –وللأسف- احتلف دورا كبيرا ورياديا في هذا العصر؛ حيث استغلت ضد المسلمين استغلالاً كبيرًا، وأنشأت ثغرات وتمزقًا في الصف، خاصة حين كان مصدر الشائعات من داخل الصف من أناس جهلة أو لهم هوى خفي أو ظن مخطئ. أما أعداء الإسلام فهم يستخدمون الشائعات ضد المسلمين، وخاصة ضد علمائهم وقادتهم ودعاتهم من إنشاء وتلفيق الأكاذيب والاتهامات للعلماء، والدعاة لزعزعة الثقة بهم والانصراف عنهم، فكم من العلماء والدعاة قيل عنهم إنهم عملاء وأصحاب مناصب ودنيا؟! وكذلك يتصيدون الأخطاء العلمية والعملية وينشرونها بين الناس ويعطونها حجما كبيرا، ويجعلون من الحبة قبة.

وفي الختام نسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤلف بين قلوبنا المسلمين عامة وبين دعاتها وشبابها خاصة، وأن يصلح ذات بينهم، وأن يجعلهم يدًا واحدة وكلمة واحدة وصفًا واحدًا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم وفق رواية ورش عن الإمام نافع، مصحف المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية عام ١٤٢٦م.

//

الإشاعة والحرب النفسية: أبحاث الحلقة العلمية السابعة التي عقدت بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، في الفترة (٢٨ شوال إلى ٣ ذي القعدة ١٤٠٦هـ) الموافق: (٥-٩ يوليو ١٩٨٦م) الطبعة الأولى: الرياض، (١٤١٠هـ)

أعمال ندوة أساليب مواجهة الشائعات: مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م ص(١٢).

الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والثلاثة الخلفاء، لسليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (ت: ٦٣٤هـ) دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

التأصيل الشرعي للإعلام الدعائي وترويج الشائعات: للدكتور/ علي شريف حماد، جامعة القدس المفتوحة، منطقة خان يونس التعليمية.

الجامع الكبير ـ سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤ م

سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،

سير أعلام النبلاء: لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت: ١٥١هـ) تحقيق سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م

الشائعات الوسيلة الإعلامية الأقدم في العالم: جان نويل، ترجمة تانيا ناجيا، دار الساقي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ٢٠٠٧م

شرح السنة: لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (ت: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ـ دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م

فيض القدير شرح الجامع الصغير: لزين الدين محمد تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي (ت: ١٠٣١هـ) المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ

القاموس المحيط، تصنيف إمام أهل اللغة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

لسان العرب: للإمام العلامة محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١هـ) دار صادر، (د، ت).

مسند الشهاب: لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (ت: ٤٥٤هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٦

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

المسند: للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

منظومة المترداف معنى ووزنا: للعلامة أحمد بن اجمد اليدالي، مخطوط بحوزتي.

الموطأ لإمام الأئمة وعالم المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩هـ) تحقيق الشيخ طه عبد الرؤوف سعد، ٢٠٠٦م.